من الإعجاز اللغويّ في القرآن الكريم
توظيف الخصائص اللغوية- سورة الإخلاص نموذجاً

د/ درية عبد الله شاكر

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القران

جامعة حائل / كلية التربية / المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية

يسعى هذا البحث إلى إبراز مواطن الجمال اللغوي في سورة الإخلاص، السورة القصيرة المعجزة، من خلال مستويات الدرس اللغوي: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، ويبيّن حسن توظيف الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية لأداء المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، ويبيّن مواطن الجمال الصوتيّ في حروف السورة: مخارجها وصفاتها وحركاتها، ومواطن الجمال الصرفي في الكلمات القليلة المتميّزة التي تألّفت منها الجمل في السورة، وكيف قامت هذه الكلمات في الجمل المكونة منها بأداء المعنى المطلوب، ثم يبيّن الجمل النحوية التي عبّر بها عن المعنى الذي هو جواب لسؤال متعلق بوصف الله تعالى وعدم انتسابه، وكيف أن هذه الموادّ اللغوية القليلة: أصواتاً وكلمات وجملاً أجابت الإجابة الوافية الكافية عن السؤال، وأثبتت الأوصاف اللائقة به سبحانه وتعالى، ونفت عنه ما لا يليق بجلاله، كل ذلك بتوظيف نصف حروف اللغة العربية، موزعة على مخارج الأصوات من الحلق إلى اللسان إلى الشفتين، وعدد قليل من الكلمات المؤدّية إلى المعاني الدقيقة، كوّنت عدداً كبيراً من الجمل المتنوّعة البليغة المعبّرة عن المقصود، ليثبت البحث في نهايته استحالة نظم مثلٍ لهذه السورة بهذه الخصائص والميزات.

الدراسات السابقة:

لم يحظَ كتابٌ بما حظي به القرآن الكريم من انصراف الهمم إلى دراسته من مختلف جوانب الدراسة، وما يعنينا في هذا البحث هو الكلام في إعجازه، فقد بدأ الكلام في إعجازه من أيام نزوله الأولى على لسان الفصحاء والبلغاء من العرب، ثم تتابعت الأقوال والدراسات فيه وتشعبت إلى يومنا هذا، أما الكتابة والتأليف في إعجاز القرآن فمن أقدم ما وصلنا عنه رأي الجاحظ[١] [ت ٢٥٥ هـ]، ثم الخطّابي[٢] [ت ٣٨٨هـ]، ثم الباقلانيّ[٣] [ت ٤٠٣هـ]، ثم القاضي عبد الجبار[٤] [ت ٤١٥هـ]، ثم عبد القاهر الجرجاني[٥] [ت ٤٧١هـ]، ثم الزمخشري[٦] [ت ٥٣٨هـ]، وقد جمع عبد الكريم الخطيب كثيراً ممن ألّف في إعجاز القرآن[٧].

واستمرّ التأليف في إعجاز القرآن إلى يومنا هذا، متخذاً مناحي شتى، من جهة نظرة كل باحث إلى حقيقة الإعجاز وماهيّته، ومن الدراسات المتخصصة رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية في غزة بعنوان: النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة، دراسة صوتية وصفية تحليلية، مقدمة من الطالب: عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم، واهتمت بسورة البقرة من جهة مقاطعها الصوتية، وهناك رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة القاهرة

---

[١] هو أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب، والجاحظ لقب غلب عليه، له مؤلفات كثيرة منها البيان والتبيين. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٥/ ٧٤.

[٢] هو أبو سليمان محمد بن الخطابي، أديب لغوي محدّث، له رسالة بعنوان: "بيان إعجاز القرآن"، نشرت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز بتحقيق الأستاذ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، د. ت. وانظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ٢/ ٢٧٣.

[٣] هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانيّ، له كتاب: إعجاز القرآن، بتحقيق السيد أحمد صقر، نشرته دار المعارف بمصر، ١٩٦٣. وانظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ١٧٦/٦.

[٤] هو القاضي أبو الحسن بن عبد الجبار الأسدبادي المعتزلي، خصص جزءاً خاصاً للإعجاز في كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، نشرته دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١. وانظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢٧٣/٣.

[٥] هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، له كتاب دلائل الإعجاز، نشرته مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، بتحقيق محمود محمد شاكر، ط٣، ١٩٩٢م، وله أيضاً الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، نشرت ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، انظر الحاشية رقم ٢ في هذه الصفحة. وانظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ٤٨/٤.

[٦] هو محمود بن عمر الزمخشري، فقيه، لغوي، أديب، مفسر، في تفسيره: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، نشرته دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، وانظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، ٧/ ١٧٨.

[٧] الخطيب، عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

بعنوان: الأعلام القرآنية، دراسة صرفية نحوية، مقدمة من الطالبة نجاة سعد محمد الورفلي، وفي البلاغة هناك بحث بعنوان: علم البديع وبلاغته في ضوء القرآن الكريم، دراسة بلاغية، للدكتور نصر الدين إبراهيم، وفي الدراسات المعجمية هناك كتاب معجم المرأة في القرآن الكريم... دراسة معجمية دلالية سياقية، تأليف مهدي أسعد عرار، وهكذا يجد الباحث في كل فرع من فروع لغة القرآن كثيراً من الدراسات والمؤلفات والبحوث، ويصعب على أي باحث حصرها لكثرتها، لكن ما يستحق التنويه إليه هو عدم وجود دراسات تفصيلية شاملة تتناول إعجاز القرآن من جميع الجوانب اللغوية؛ في حروفه من جهة مخارجها وصفاتها وحركاتها، وكلماته من جهة صيغها واشتقاقها ودلالاتها، وجمله من جهة أنواعها، وما يتعلق بها، وأساليبه ومعانيه في وقت واحد في سورة كاملة أو أكثر، وربط كل ذلك بالوظيفة المعنوية والجمالية والتأثيرية، فجاء هذا البحث محاولاً سدّ ثغرة في دراسات الإعجاز، ويفتح للباحثين باباً واسعاً ليلجه من ملك أدواته، وصبر على لأوائه.

مقدمة:

لقد أنزل اللهُ سبحانه وتعالى كتابَه الكريم باللغةِ العربية، وتحدّى البشرَ أن يأتوا بمثلٍ لهذا القرآن، ومنذ نزوله حتى الآن والبلغاء والفصحاء يقفون عاجزين عن إدراك سر إعجازه، ولكنّ الذين أنزلَ عليهم القرآن أدركوا اختلافَه عن كلامِ البشر، وأدركوا أنه ليس كلامَ بشر، فهم الفصحاء والبلغاء، وهم الشعراء والأدباء، وهم المتفننون في وجوه الكلامِ، فلما سمعوا آيات القرآن خرّوا ساجدين، حتى الذين كفروا به وكفروا برسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، حتى هؤلاء كانوا يذهبون إلى جوار بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم ليستمعوا إلى تلاوة النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآنَ الكريم خفيةً، ويستمتعوا بالاستماع إليه(١)، لإدراكهم أنه ليسَ كلامَ بشر، وقد خلبَهم جمالُ تركيبِه ونظمِه، حتى قال قائلُهم إنه سحرٌ يؤثَرُ، يسحرُ سامعَهُ، وقد قالوها لبعض قادتهم الذين ذهبوا ليحاولوا ثنيَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم عن دعوته، فعندما يذهبون إليه، يذهبون بوجهٍ، ولكنهم يعودون بوجهٍ

(١) انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ٣١٥/١.

آخرَ، متأثرين بما سمعوا من كلامِ الله سبحانه وتعالى: فيقولون له: أسحرك محمدٌ بكلامه؟(١)

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في كونه دراسة تطبيقية شاملة لفروع اللغة العربية على سورة قرآنية، محاولاً بيان مواطن الإعجاز في النظم اللغوي لسورة من سور القرآن، وليكون مرشداً لنفر من الناس لا يستطيعون أن يلمسوا تميّز نظم القرآن الكريم.

أسباب أختيار الموضوع:

١- اقتصار البحوث والمؤلفات في المكتبة العربية على فرع من فروع اللغة –غالباً– لتطبيقها على القرآن الكريم.

٢- الإجابة عن تساؤلات كثير من الناس حول إعجاز السور القصيرة في القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

عدم تمكّن كثير من الناس من تذوق القرآن الكريم، وعدم قدرتهم على تلمّس مواطن إعجاز القرآن، وعجزهم عن ملاحظة اختلافه عن كلام البشر، وفيه ردّ على الملحدين الذين لا يفرّقون بين القرآن وغيره.

أهداف البحث:

١- بيان حسن توظيف الخصائص اللغوية: صوتاً وصرفاً ونحواً ومعجماً وبلاغة.

٢- إظهار التكامل اللغوي في القرآن الكريم.

٣- كشف مواضع التأثير من مختلف جوانبه اللغوية في النظم القرآني.

منهج البحث:

مزج البحث بين المنهجين الوصفيّ والتحليليّ، ليصف الظاهرة اللغوية، أي خصائص اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والبلاغية التي تم توظيفها في

(١) ابن هشام، مرجع سابق، ٢٩٣/١-٢٩٤.

سورة الإخلاص، ثم بيان الأثر الناتج عن تلك الخصائص من جهة سهولتها في النطق وجمالها في السمع وتأثيرها في القلوب.

خطة البحث:

انقسم البحث بعد المقدمة إلى مبحثين، ثم خاتمة، يليها فهرس الموضوعات، ثم فهرس المراجع، وقد تضمن كلّ مبحث عدداً من المطالب كانت كما يلي:

المبحث الأول: دراسة النظم اللغوي في سورة الإخلاص

المطلب الأول: المستوى الصوتيّ

المطلب الثاني: المستوى الصرفي

المطلب الثالث: المستوى النحويّ

المبحث الثاني: الدلالة وجمال التعبير

المطلب الأول: مناسبة السورة لسبب نزولها

المطلب الثاني: الآية الأولى

المطلب الثالث: الآية الثانية

المطلب الرابع: الآية الثالثة

المطلب الخامس: الآية الرابعة

المطلب السادس: خصائص عامة

المبحث الأول

دراسة النظم اللغوي في سورة الإخلاص

تمهيد: المعنى الإجمالي للسورة

أمرٌ بالقول قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل. وهو المقصود في جميع الحوائج. وجميع الخلائق مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه. ومن كماله أنه لم يلد ولم يولد لكمال غناه، وليس له شبيه أو مثيل لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله سبحانه وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات[1].

المطلب الأول: المستوى الصوتيّ

سورة الإخلاصِ مكوّنة من أربعةَ عشرَ حرفاً، أي نصفِ حروف اللغة العربية، فالله يتحدى البشر أن يأتوا بسطرٍ أو اثنين بمثل وصف سورة الإخلاص، التي لم يستخدم فيها إلا نصف حروف العربية.

وهذه الحروف الأربعةَ عشرَ تكررت في النطق ثمانياً وأربعين مرة، اختيرت بعناية بالغة من جهة مخارجها، ومن جهة صفاتها، ومن جهة حركاتها، ولا بد هنا من الإشارة أن الإحصائيات المعتمدة هنا هي من إحصاءات الباحث، نظراً لعدم وجود مثلها، كونها تعتمد الإحصاء الصوتي للحروف والحركات، والإحصاءات الموجودة في المكتبة العربية تعتمد الحروف المرسومة وليس المنطوقة، وقد ضُمّن البحث جداول بهذه الإحصاءات يستطيع من أراد التحقق منها أن يفعل، فإن أصاب الباحث فمن الله سبحانه وتعالى وله الحمد والشكر، وإن أصاب فمنه ومن الشيطان، ونستغفر الله سبحانه وتعالى.

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ٩٣٧، بتصرف.

مخارج الحروف:

اختلف علماء القراءات والأصوات واللغويون في عدد مخارج الحروف العامة والخاصة، فهي عند ابن الجزري خمسة عامة الجوف، الحلق، الفم، الشفتان، الخيشوم، تشمل سبعة عشر مخرجاً خاصّاً، وهي عند سيبويه والشاطبي أربعة عامة بإسقاط الجوف، تشمل ستة عشر مخرجاً خاصاً بتوزيع حروف الجوف على المخارج الأخرى، وذهب الفرَّاء والجرمي وقطرب وابن كيسان إلى أنَّ المخارج أربعة عشر مخرجًا؛ بحيث أسقطوا الجوفَ من المخارج العامَّة والخاصَّة كالرأي السابق، وكذلك جعلوا مخارجَ اللسان الخاصَّة ثمانية، وليس عشرة؛ حيث دمجوا اللامَ والنُّون والرَّاء في مخرجٍ واحد مع أنه بحسب الرَّأيين السابقين لكلٍّ منها مخرج[1]. وسيعتمد هذا البحث رأي سيبويه والشاطبي، لمناسبته العملية الإحصائية، كي لا تُعدّ الواو اللينة والمدّيّة حرفين، ونظراً لأن مخرج الخيشوم ينحصر تأثيره في صفة حرفي الميم والنون، وليس في مخرجهما، فلن نعدّه مخرجاً وذلك لأغراض دراسة المخارج والرسم البياني المتعلق بها.

[1] المرصفي، عبد الفتاح السيد: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة ، ٦٣/١.

المخارج العامة	المخارج الخاصة في المخرج العام	حروف سورة الإخلاص بالنسبة لمخارجها الخاصة وتكراراتها						المخرج الخاص	تسلسل المخارج الخاصة
الحلق	1	ا	2	ء	2	هـ	4	أقصى الحلق من جهة الجوف	1
	2	ع	×	ح	2	-	-	وسط الحلق	2
	3	غ	×	خ	×	-	-	أدنى الحلق من جهة الفم	3
اللسان	1	ق	1	-	-	-	-	أقصى اللسان قريباً من الحلق	4
	2	ك	2	-	-	-	-	أقصى اللسان قريباً من جهة الفم	5
	3	ج	×	ش	×	ي	3	وسط اللسان	6
	4	ت	×	ط	×	د	5	ظهر اللسان مع أصل الثنايا العليا	7
	5	ث	×	ظ	×	ذ	×	ظهر اللسان مع رؤوس الثنايا العليا	8
	6	ن	2	-	-	-	-	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	9
	7	ر	×	-	-	-	-	طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا قريباً من الظهر	10
	8	ز	×	ص	2	س	×	رأس اللسان مع أصول الثنايا	11
	9	ض	×	-	-	-	-	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يحاذيه من الأضراس العليا	12
	10	ل	11	-	-	-	-	حافة اللسان الأمامية مع التصاقها بما يحاذيها من الأسنان	13
الشفتان	1	ب	×	م	4	و	6	ما بين الشفتين	14
	2	ف	1	-	-	-	-	الشفة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا	15

جدول رقم ١ توزيع حروف سورة الإخلاص على المخارج الخاصة والعامة وتكراراتها

-	مخارج الحروف		
المخرج العام	حلقية	لسانية	شفوية
عدد الحروف	4	7	3
التكرارات	11	26	11
النسب المئوية	22.9%	54.2%	22.9%

جدول رقم ٢ يبين توزيع الحروف على مخارجها العامة وتكراراتها ونسبها

بالنظر للجدولين الأول والثاني يتبيّن أن نصف الحروف التي تتكوّن منها سورة الإخلاص تقريباً تتوزع على مخارج اللسان، وعددها سبعة حروف بتكرار قدره ٢٦، والنصف الثاني ينقسم بين المخرجين الطرفيّين: الحلق والشفتين، بعدد أربعة حروف للحلق، وثلاثة للشفتين، ولكن كلاً منها يتكرر إحدى عشرة مرة، وتوزيع حروف السورة بهذه الصيغة على المخارج يحقق أكبر قدر ممكن من سهولة القراءة، فلا يحس القارئ بصعوبة في الانتقال من حرف إلى الحرف الذي يليه، نظراً لتباعد كل حرفين متتالين في مخرجيهما غالباً، والرسم البياني لتسلسل الحروف من جهة مخارجها في هذه السورة يدلّ على هذا.

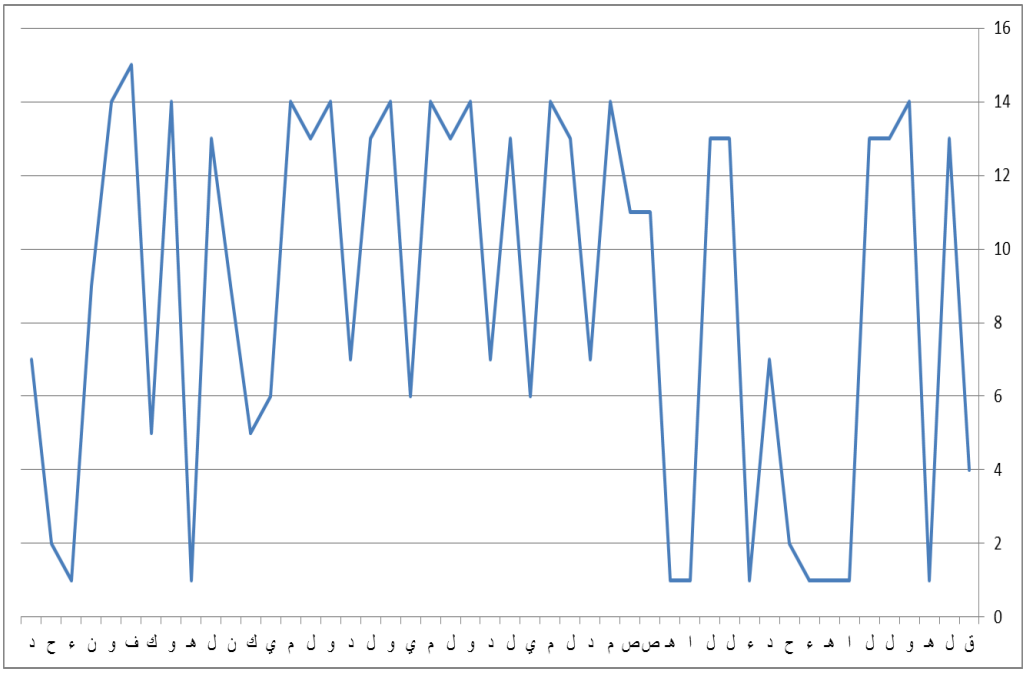

رسم بياني رقم ١ يوضح تسلسل حروف سورة الإخلاص المقروءة بالنسبة للمخارج

صفات الحروف:

الحرف	تكراره	الجهر الهمس	الشدة والتوسط والرخاوة	الذلاقة والإصمات	التفخيم والترقيق	الإطباق والانفتاح
ل	11	**جهر**	متوسط	**ذلاقة**	مرقق	منفتح
و	6	**جهر**	رخو	إصمات	مرقق	منفتح
د	5	**جهر**	**شديد**	إصمات	مرقق	منفتح
م	4	**جهر**	متوسط	**ذلاقة**	مرقق	منفتح
هـ	4	همس	رخو	إصمات	مرقق	منفتح
ا	2	**جهر**	رخو	إصمات	مرقق	منفتح
ي	3	**جهر**	رخو	إصمات	مرقق	منفتح
ء	3	**جهر**	**شديد**	إصمات	مرقق	منفتح
ح	2	همس	رخو	إصمات	مرقق	منفتح
ص	2	همس	رخو	إصمات	**مفخم**	**مطبق**
ك	2	همس	**شديد**	إصمات	مرقق	منفتح
ن	2	**جهر**	متوسط	**ذلاقة**	مرقق	منفتح
ف	1	همس	رخو	**ذلاقة**	مرقق	منفتح
ق	1	**جهر**	**شديد**	إصمات	**مفخم**	منفتح

جدول رقم ٣ الصفات المتضادة لحروف سورة الإخلاص مع تكرارات كل حرف

الصفات المتضادة	الجهر والهمس		الشدة والتوسط والرخاوة			التفخيم والترقيق		الإصمات والذلاقة		الإطباق والانفتاح	
	مجهورة	مهموسة	شديدة	متوسطة	رخوة	مفخمة	مرققة	إصمات	ذلاقة	إطباق	انفتاح
عدد الحروف	9	5	4	3	7	2	11	4	10	1	13
التكرارات	37	11	11	17	20	3	45	30	18	2	46
النسب المئوية	77.1%	22.9%	22.9%	35.4%	41.7%	6.3%	93.8%	62.5%	37.5%	4.2%	95.8%

جدول رقم ٤ النسب المئوية لتوزيع حروف سورة الإخلاص على الصفات المتضادة

ومن جهة صفات الحروف نجد نصف حروف السورة من الحروف الرخوة، وهي: الحاء، والياء، والألف، والواو، والصاد، والفاء، والهاء وهي الحروف التي يجري معها الهواء أثناء نطقها ولا يتوقف[1]، ونجد النصف الباقي من الحروف قسمين، قسماً بين الشدة والرخاوة، وهي الحروف اللام، والميم، والنون، وقسماً شديداً، وهي الحروف الهمزة والدال والقاف والكاف. وفائدة استخدام الحروف الرخوة هو سهولة النطق، بجريان الهواء حين النطق، وتقليل الجهد العضلي حين القراءة.

ومن جهة الجهر والهمس، نجد أكثر حروف السورة مجهوراً، والجهر في الاصطلاح هو قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه، وهو الذي تهتز معه الأوتار الصوتية حين النطق، وهي تسعة حروف: اللام، والواو، والألف، والدال، والميم، والياء، والنون، والقاف، والهمزة، تكررت سبعاً وثلاثين مرة، وخمسة من حروف السورة مهموسة، وهذه الحروف هي الهاء، والحاء، والصاد، والكاف، والفاء، تكررت إحدى عشرة مرة، وهذا التوزيع لحروف السورة بين الجهر والهمس بهذا الشكل يعطي السورة قوة في النطق وجمالاً في النطق والسمع.

وحروف السورة أكثرها مستفلٌ مرقق، باستثناء ثلاثة حروف: حرفين مفخمين مستعليين بالأصالة وهما القاف والصاد المكرّرة مرتين بالتشديد، وحرف فُخِّمَ لموقعه، وهو اللام في لفظ الجلالة، فناسب الترقيق السورة كلها، لأن الترقيق يحتاج لجهد عضلي أقل من الجهد العضلي الذي يحتاجه التفخيم أثناء النطق، فكانت أكثر حروف السورة مرققة تسهيلاً وتيسيراً للنطق.

[1] المرصفي، مرجع سابق، ٨٠/١.

أما المواضع التي ورد فيها التفخيم أو الاستعلاء فأولها أول حرف في السورة، لفتاً للنظر، واستعداداً من الناطق، وتهيئة للسامع لما هو قادم في شأن الله تعالى.

ثم التفخيم في لام لفظ الجلالة المكرر مرتين، لأنّ لفظ الجلالة مسبوق بفتح في الموضعين، فالتفخيم مناسب لمقام الله تعالى، ومثل ذلك تفخيم الصاد في اسم الله الصمد مرتين مشدداً، زيادة في التفخيم، واستعلاء الله تعالى، واحتياج مخلوقاته إليه.

وورد في السورة حرف واحد مطبق، وهو الصاد المشددة المفخمة المستعلية المطبقة، لتناسب مقام الله تعالى الصمد، المصمود والمقصود في حاجات الناس وملماتهم. مع ما في الصاد من صفة الصفير.

وباقي حروف السورة منفتحة، لأن الانفتاح يحتاج لجهد عضلي أقل من الانطباق، تيسيرا وتسهيلاً للقراء على مختلف أعمارهم.

وورد من حروف السورة أربعة حروف من حروف الذلاقة[1] الستة، وهي اللام والميم والنون والفاء، تكررت في السورة ثماني عشرة مرة، وزعت على السورة توزيعاً دقيقاً مؤدّياً إلى سهولة النطق، لأن حروف الذلاقة هي حروف الخفّة والسهولة.

الحركات:

أما حركات الحروف في السورة فقد جاءت بتنسيق عجيب:

حروف السورة المنطوقة ثمانية وأربعون حرفاً، لأن المكتوب سبعة وأربعون حرفاً، تسقط ألفا الوصل في كلمة الله الأولى، وكلمة الصمد بسبب الوصل، ولكنَّ هناك ألفين منطوقتين غير مكتوبتين في لفظي الجلالة، وهناك حرف زائد في القراءة عن المكتوب هو إشباع ضمّة هاء له في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

وبالنظر للمنطوق يُعَدُّ الحرف المشدّد حرفين، أولهما ساكن والثاني متحرك، ويُعَدُّ التنوينُ نوناً ساكنة في كلمة كفواً، وباعتبار الوقف على نهايات الآيات، وعليه تكون حركات السورة كما يلي:

- الكسرة وردت مرة واحدة، في الحرف الأوسط من السورة. والكسرة أثقل الحركات.

---

[1] سمّيت بذلك لخروجها من ذلق اللسان والشفتين، ومن معاني الذلاقة في اللغة الخفة، انظر: المرصفي، مرجع سابق، ٨٣/١.

- الفتحة تكررت عشرين مرة، عشر مرات قبل الكسرة، وعشراً بعدها. والفتحة أخفّ الحركات.
- السكون تكررت ثماني عشرة مرة، تسعاً قبل الكسرة وتسعاً بعدها. والسكون يعني عدم الحركة.
- الضمة تكررت تسع مرات، أربعاً قبل الكسرة، وخمساً بعدها.

السكون	الفتح	الضمّ	الكسر
18	20	9	1

جدول رقم ٥ تكرارات الحركات في سورة الإخلاص

وهذا التوزيع للحركات على حروف السورة بهذا الشكل الدقيق المحكم يدل على التوازن بين نصفي السورة، خاصة أنّ نصفها الأول إثبات، ونصفها الثاني نفي، وهذا النظم على هذه الهيئة من مواطن الجمال التعبيري في السورة، فالقراء على مختلف أعمارهم يقرأون السورة ويكررونها بسلاسة على ألسنتهم، وفي صلواتهم، ويتذوقونها دون معرفتهم بأسرار جمال السورة.

إن العربيّ الشاعر أو الأديب إن نجح في إحداث التوازن في الكلمات بين جملتين، أو شطرين من الشعر، يُعَدُّ قوله جميلاً غالباً، فما ظنك بالقرآن الكريم إذ يتحدى العرب كلهم بإيجاد مثل هذا التوازن العجيب في الحروف ومخارجها وصفاتها وحركاتها ومعانيها في سورة لا تكاد تعدل بيتين من الشعر في عدد كلماتها وحروفها، ولكنها تفوق كلام العرب كلهم في معناها ودقة نظمها وعجيب تناسقها.

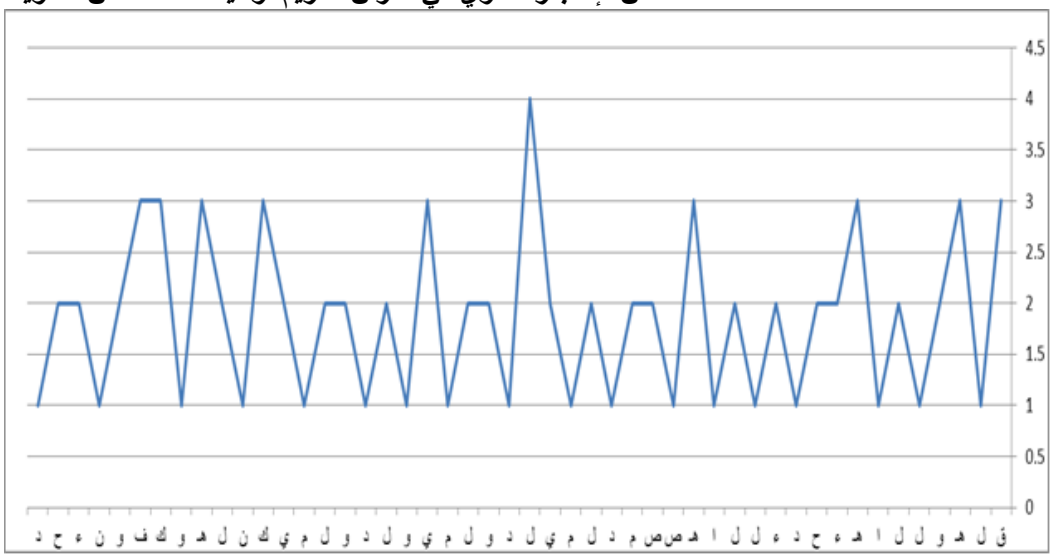

رسم بياني رقم ٢ يبين تسلسل حركات سورة الإخلاص

المطلب الثاني: المستوى الصرفيّ

أما كلمات السورة، وهي خمس عشرة كلمة، فقد توزّعت على أقسام الكلام الثلاثة في النحو على النحو التالي:

أولاً: الاسم

ورد في السورة أربعة أسماء ظاهرة، هي: الله، أحد، الصمد، كفء. اثنان منها معرفتان الله، الصمد، والتعريف مفيد لنفي الاشتراك بالكلية، فجاء التعريف مناسباً هنا لتفرد الله تعالى بالألوهية والصمدانية.

واثنان نكرتان: كفء، أحد، نكّرت كلمة أحد في الآية الأولى دلالة على تعظيم الله تعالى ووحدانيته وتفرده. ونكرت كلمة أحد في آخر السورة للدلالة على العموم، فليس من أحد مكافئ أو مشابه أو مماثل لله تعالى، فهي نكرة وقعت في سياق النفي.

ونكرت كلمة كفؤ للدلالة على عموم نفي المكافأة والمشابهة لله تعالى، وهي واقعة في سياق النفي.

وجميع الأسماء في السورة جاءت مفردةً، ولم يستخدم فيها المثنى والجمع، لأن المقام مقام إفراد وتوحيد لله سبحانه وتعالى، لكنه في معرض نفي الشبيه والمكافئ استخدم

لفظاً مفرداً دالاً على العموم، ليس بصيغته الصرفية، بل بتركيبه النحويّ بمجيئه في سياق النفي، فدلّ على نفي عموم النظير لله تعالى.

أما الضمائر:

فقد تمّ توظيف الضمائر المفردة بأنواعها، الظاهرة والمستترة، المتصلة والمنفصلة، المخاطب والغائب.

فالمستترة ثلاثة، تقديرها: أنت في قوله تعالى: قل، و هو في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

والظاهرة متصلة ومنفصلة، فالمتصلة: الهاء في له في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

والمنفصلة: هو، في أول السورة، وهو ضمير شأن، يستخدم للدلالة على عظم شأن العائد إليه.

والضمائر الخمسة في السورة قصرت دلالتها جميعها على الإفراد، ولم يستخدم في السورة ضمائر تثنية أو ضمائر جمع، لأن المقام مقام إفراد وتوحيد لله تعالى.

ثانياً: الفعل

ورد في السورة أربعة أفعال، هي: قل، يلد، يولد، يكن. اثنان منهما كل منهما فعل أجوف معتل الوسط قال، كان، والثالث المكرر مرتين مثال معتل الأول فاء الفعل، أحدهما مبنيّ للمعلوم، وثانيهما مبنيّ للمجهول يلد، يولد، وواحدٌ من الأفعال الأربعة فعل أمر، والثلاثة الأخرى مضارعة، فعل الأمر في بداية السورة جواباً لسؤال السائلين من كفار مكة. وثلاثة أفعال مضارعة وزناً وصيغةً، وماضية دلالة ومعنى، لسبقها بـــ لم، وواحد من الثلاثة دال على الاستمرار لم يكن.

ثلاثة من الأفعال الأربعة أصابها الإعلال، وحذفت فيها الواو جميعها، قل، يكن لالتقاء الساكنين، يلد لمجيء حرف مكسور بعد الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، والإعلال بالحذف إنما هو اختصار يضاف إلى الإيجاز في السورة.

(يلد) وقعت فيها الواو المحذوفة ثانية، و قل وقعت فيها الواو المحذوفة وسطاً، و يكن وقعت فيها الواو المحذوفة ثالثة، وهذا من باب التنويع والاستقصاء.

ثالثاً: الحرف

أما القسم الثالث من أقسام الكلام، وهو الحرف، أي حروف المعاني، فقد استخدم في السورة ثلاثةً من حروف المعاني، وهي: لم، واو العطف، لام الجر. اللام مرة واحدة، وواو العطف مرتين، و لم ثلاث مرات، وتجدر الإشارة هنا إلى أن واو العطف وقعت في النصف الثاني من السورة حين تعدّد المنفيّات ومغايرة بعضها بعضاً، ولم تقع في النصف الأول من السورة لدفع إيهام المغايرة بين الله وصفته الصمد، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

المطلب الثالث: المستوى النحويّ التركيبيّ

تكوّنت السورة من سبع جمل كبرى وصغرى[1]، وهي كما يلي:

الجملة الأولى تبدأ من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ ...**﴾ إلى نهاية السورة، جملة كبرى.

الجملة الثانية تبدأ من قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ...**﴾ إلى نهاية السورة، مقول القول.

الجملة الثالثة قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، الواقعة خبراً أول عن ضمير الشأن هو.

الجملة الرابعة قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾، الواقعة خبراً ثانياً عن ضمير الشأن هو.

الجملة الخامسة قوله تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ** ﴾.

الجملة السادسة قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يُولَدْ**﴾.

الجملة السابعة قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

النصف الأول من السورة ثلاث من جمل مقول القول جمل اسمية مثبتة:﴿ **هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، ﴿**اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾، وذلك لدلالة الجملة الاسمية على الثبات والدوام، فاستخدمت في حق الله تعالى إثباتاً لوجوده ووحدانيّته واستغنائه واحتياج غيره إليه على الدوام.

والنصف الثاني ثلاث من جمل مقول القول جمل فعلية منفية: ﴿**لَمْ يَلِدْ** ﴾، ﴿**لَمْ يُولَدْ**﴾، ﴿ **لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

فانظر إلى منتهى الإبداع في صناعة سبع جمل متنوّعة من خمس عشرة كلمة، منها جمل اسمية، وأخرى فعلية، ومنها جمل مثبتة، وأخرى منفية، ومنها المبني للمعلوم ومنها المبني للمجهول، فسبحان الله العظيم!

---

[1] من العلماء الذين فصّلوا في تقسيم الجمل إلى كبرى وصغرى ابن هشام الأنصاري [ت ٧٦١هـ]، في كتابه: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م.

المبحث الثاني

الدلالة وجمال التعبير

المطلب الأول: مناسبة السورة لسبب نزولها

نزلت السورةُ جواباً لكفار مكةَ لما سألوه: صفْ لنا ربك. أو: انسب لنا ربك[1]، فهي تصف الله تعالى، وتنفي انتسابه لأحد أو انتساب أحد إليه، بل تنفي مطلق النسبة، وتنفي مطلق المشابهة، وتثبت له سبحانه الوحدانية، وتثبت له التفرد بالاحتياج إليه وحده، وعدم احتياجه لأحد أو لشيء، فكانت جواباً كافياً وافياً على طلب وصف الله عز وجل، وطلب نسبته، تعالى الله عما يصفون.

واللافت لنظر المدقق يجد أن السورة ذكرت الله تعالى –الذي هو موضع السؤال والجواب– سبع مرات بمختلف أنواع الذكر، بالعَلَميّة مرتين (الله)، وبالصفة مرة (الصمد)، وبالضمير الظاهر المنفصل (هو)، وبالضمير الظاهر المتصل (له)، وبالضمير المستتر مرة فاعلاً ﴿لَمْ يَلِدْ ﴾، ومرة نائب فاعل ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، فهل بعد هذه القدرة على الإحاطة باللغة وتوظيفها من قدرة؟

وهذه السورة القصيرة نفت احتمالات الشراكة مع الله تعالى جميعها، واحتمالات الاحتياج، فنفت الوالد والولد والعشيرة، ونفت الشريك والشبيه، وقصرت الألوهية على الله وحده، وقصرت احتياج المخلوقين إلى الله تعالى، وردّت على جميع الكفار باختلاف طوائفهم من مشركين ويهود ونصارى وملحدين وغيرهم، كل ذلك في آيات معدودات، وكلمات قليلة، وبنصف حروف اللغة العربية، تشكّل من هذه الحروف والكلمات أكبر عدد من الجمل سبع جمل، عُبّر بها عن معانٍ كثيرة، يعجز الإنس والجنّ عن الإتيان بمثل هذه السورة. يقول الرازي في تفسيره: " نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَاتِهِ أَنْوَاعَ الْكَثْرَةِ بِقَوْلِهِ: أَحَدٌ وَنَفَى

[1] انظر: الواحدي، علي بن أحمد: أسباب نزول القرآن، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ٥٠٠-٥٠١، وانظر: القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٢٤٥/٢٠.

النَّقْصَ وَالْمَغْلُوبِيَّةَ بِلَفْظِ الصَّمَدِ، وَنَفَى المعلولية والعلية بلم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَنَفَى الْأَضْدَادَ وَالْأَنْدَادَ بِقَوْلِهِ :وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ"[1].

المطلب الثاني: الآية الأولى

بدئت السورة بفعل الأمر (قل)، ولذلك فهي أمرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم ابتداءً، وأمر لكل واحد من أفراد أمته بتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، وأمرٌ لكل من يسمعُ هذه السورة، أن يقول: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، أي: لا إله إلا الله؛ لأن "خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته ما لم يقم دليل على خصوصيته فيه"[2].

ولذلك فإن وجود فعل الأمر في أولها دلالة على التزام الرسول صلى الله عليه وسلم بما يوحى إليه، ومحافظته عليه بنصه، وكذلك كل قارئ يحافظ عليها تعبداً لله تعالى، والتزاماً بأمره بهذا القول. والابتداء بفعل الأمر تنبيه للسامع وتشويق له، فينتظر ما بعد القول.

هو: مبتدأ أول، يسمى هذا الضمير في موقعه العظيم هذا بضمير الشأن، ليدل على عظمة شأن المتحدث عنه، وهو الله تعالى، ولوجوده أهمية كبيرة من جهة أن السامع عندما يسمعه يدرك أن بعده أمراً مهماً فينتظر ما بعده، فهو مشوّق ثانٍ للسامع.

اللهُ: لفظ الجلالة، مبتدأ ثان، وما زال السامع ينتظر الخبر، فصار المبتدأ الثاني؛ لفظ الجلالة في هذا الأسلوب مشوّقاً ثالثاً.

ثمّ يأتي خبر المبتدأ الثاني: أحد، الذي هو بمعنى واحد، أصله وحد قلبت الواو همزة، جرياً على عادة العرب على قلب واو المبدوء بواو همزة، مثل : أجوه = وجوه، وإشاح = وشاح[3]، وصيغة أحد صفةٌ مشبهة باسم الفاعل، وهي تفيد تمكن الوصف في موصوفها بأنه ذاتي له، فلذلك أوثر أحد هنا على واحد لأن واحداً اسم فاعل لا يفيد التمكن، مع أنهما من أصل ثلاثي واحد، وهو مادة الوحدة بمعنى التفرد، ويستخدم هذا

---

[1] الرازي، محمد بن عمر بن الحسين: مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ٣٢/ ٣٦٥.

[2] السلمي، عياض بن نامي بن عوض: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٢٩٣/١.

[3] ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذيّ: شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ٣/ ٧٥.

اللفظ أحد في النفي والإثبات، ولذلك تفصيل ذكره الراغب الأصفهاني في معجمه، لا بد من ذكره هنا لعظم فائدته في بيان بديع نظم السورة.

يقول: "فأما المختص بالنفي فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: ما في الدار أحد، أي: لا واحد ولا اثنان فصاعدا لا مجتمعين ولا مفترقين، ولهذا المعنى لم يصح استعماله في الإثبات؛ لأن نفي المتضادين يصح، ولا يصح إثباتهما، فلو قيل: في الدار واحد لكان فيه إثبات واحد منفرد مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين، وذلك ظاهر الإحالة. وأما المختصُ بالإثبات، ففي ثلاثة مواضع، **أولها**: في الواحد المضموم إلى العشرات، مثل: أحد عشر، وأحد وعشرين. **وثانيها**: أن يقع مضافاً أو مضافاً إليه، فيكون بمعنى الأول، أما وقوعه مضافاً ففي قوله تعالى: ﴿**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا**﴾ [1]، وأما وقوعه مضافاً إليه فكقولنا: يوم الأحد، ويوم الاثنين. **وثالثها**: أن يستعمل مطلقاً وصفاً، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى بقوله ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ "[2].

وهذا الاستعمال للفظ أحد عجيب، فلا يقع في الإثبات وصفاً مطلقاً إلا في هذا الموقع[3]، وهذا الاستعمال مما استأثر به القرآن الكريم، فلا يستقيم في أي استعمال آخر من استعمالات البشر، وهو بحد ذاته إعجازٌ مضافٌ إلى إعجاز القرآن.

وباكتمال خبر المبتدأ الثاني (الله)، يكتمل خبر المبتدأ الأول هو: ﴿**اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، فيقع الخبران من المتلقّي موقعاً عظيماً مؤثّراً بعد المشوّقات الثلاثة المتتالية في أول السورة.

وفي الآية الأولى ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ورد ذكر الله تعالى فيها مرتين، الأول بضمير الغيبة، الواقع في أولها، فكان ضمير شأن، يبين عظمة شأن المتحدث عنه، وقد أُخبرَ عنه بجملة تليقُ بذات الله تعالى ووحدانيته ﴿**اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، والثاني بلفظ الجلالة العلم على الله

---

(1) سورة يوسف/ ٤١.

(2) الأصفهاني، الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩، ٦٦-٦٧.

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر :تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٨/ ٦١٨.

تعالى، وأخبر بلفظ أحد الذي لا يقع إثباتاً وصفاً مطلقاً إلا هنا في مثل هذا الموقع، فكانت بداية جواب سؤال الكفار، بداية عظيمة، بخبرين عن المسؤول عنه في كلمات قليلة.

المطلب الثالث: الآية الثانية

ثم جاءت الآية الثانية ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ خبراً جملةً ثانياً عن ضمير الشأن، وهي بحدّ ذاتها مبتدأ وخبر، المبتدأ فيها لفظ الجلالة، وفي تكرار لفظ الجلالة إطناب لكون السورة جواباً عن الله تعالى، والخبر باسم عظيم من أسماء الله الحسنى، وهو الصمد، الحق الكامل الصمدية على وجه العموم، وهو السيد الذي لا يستغنى عنه في المهمات. وهو الذي يصمد إليه في الأمر، وصمده: قصده معتمدا عليه في قصده[١]، وهو من الأسماء التسعة والتسعين في حديث أبي هريرة عند الترمذي[٢]، ومعناه : المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه والموجود مفتقر في شئونه إليه، يقول الطبري: "المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له"[٣].

وورود اسم الله الصمد دون غيره لأنه يشمل صفاتِ اللهِ المعنويةَ: الحي، العليم، فعالٌ لما يريد ، القادر والقدير، السميع، البصير، وغيرها؛ لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصموداً إليه. فكان في ورود هذا الاسم إيجاز استغني بهذا اللفظ عن ألفاظ كثيرة[٤].

ومجيء الصمد الذي هو الخبر المسند معرفةً أفادَ القصر، أي حصرَ الصمدانية والتوجه بالقصد في الحاجات والملمات إلى الله تعالى. وهذا التركيبُ المفيد للقصر نفيٌ لوجود هذه الصفة في غيره سبحانه وتعالى، وفيه ردٌ على المشركين بتوجههم إلى أصنام لا تضر ولا تنفع.

والآيتان الأولى والثانية مثبتتان. والآيتان التاليتان منفيتان، أثبت الصفات التي تليقُ به سبحانه في الآيتين الأوليين، ونفى عنه الصفات التي لا تليقُ بالخالق الصمد.

---

[١] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٦١٧/٣٠.

[٢] الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، برقم ٣٥٠٧، ٥٣٠/٥.

[٣] الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ٢٤/ ٧٣١.

[٤] ابن عاشور، مرجع سابق.

المطلب الرابع: الآية الثالثة

ثم تأتي جملة ﴿لَمْ يَلِدْ ﴾ دون عطف بقصد الإيجاز، فيمكنُ أن تكونَ خبراً ثانياً عن لفظ الجلالة الله في الآية الثانية، وتحتمل أن تكونَ حالاً من المبتدأ لفظ الجلالة الله في الآية التي سبقتها، ليصير التقدير اللهُ الصمدُ غيرَ مولود ولا والد، كما تحتمل أن تكون بدلَ اشتمال من جملة ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، لأن معناها مما يشتمل عليه معنى الصمد، فالمقصود والمصمود إليه لا يكون والداً، لعدم احتياجه إلى المولود.

وهنا يبدأ استخدام العطف الواو للدلالة على تعدد صفات المخلوقين ومغايرة بعضها بعضاً، ونفي تلك الصفات عن الله تعالى، فنفى عن الله تعالى أن يكون والداً، وينفي بالجملة المعطوفة عليها أن يكون مولوداً، لأن المولود محتاج ولا يكون مقصوداً ومصموداً إليه في الحاجات.

والجملتان المنفيتان ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيهما رد على كفار مكة حين قالوا إنّ الملائكة هم بنات الله، ورد على النصارى بادعائهم أن المسيح ابن الله، ورد على اليهود في دعواهم أن عزيراً ابن الله، سبحانه وتعالى عما يصفون.

المطلب الخامس: الآية الرابعة

ثم تأتي الآية الأخيرة لتنفي الشبيه والنظير والمثل عن الله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، والكُفُو، والكُفُؤ، والكفْء، بمعنى واحد أي المثل[1]، وقد قرئ بها في القراءات المتواترة[2]. وهي معطوفة على قوله تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، وكلمة أحد نكرة في سياق النفي وبحسب القاعدة الأصولية فإنها تفيد العموم[3]،

وفي الآية تقديم وتأخير، تقدّم خبر "كان" على اسمها، وتقدّم متعلّق خبر "كان" الذي هو (له) على الخبر، لتضمنه ضميراً يعود على الله تعالى، فقدّم ما تعلّق بالله تعالى على الكفو، تعظيماً لله تعالى.

---

[1] البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي: مختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ، ٦/ ١٠٣٦.

[2] خاروف، محمد فهد: الميسر في القراءات الأربع عشرة، مراجعة: محمد كريم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ٦٠٤.

[3] السلمي، مرجع سابق، ٣٠٦/١.

المطلب السادس: خصائص عامة

استخدم في السورة سبع وحدات دالة على الله تعالى: هو، الله، الله، الصمد الضمير المستتر في لم يلد، الضمير المستتر في ولم يولد، الضمير المتصل الهاء في له.

وقعت في السورة كسرة وحيدة، وهي كسرة اللام في الفعل المضارع المجزوم لم يلد، وكلمة يلد تتوسط السورة، سبقتها سبع كلمات، وتلتها سبع كلمات، وهي الثامنة متوسطة.

الجمع بين الاسم العلم (الله) وبقية الصفات المتضمنة في صفة الصمد.

السورة تعدل ثلث القرآن كما ورد في الحديث الصحيح: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا [أي يراها قليلة] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ [1]، فلو نظرنا للإسلام بعقيدته، وللقرآن الذي فيه العقيدة، لوجدنا أن القرآن ثلاثة أقسام:

- قسم لأسماء الله وصفاته
- وقسم للأحكام الشرعية
- وقسم للوعد والوعيد في الآخرة

وسورة ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، سورة الاخلاص، تضمنت القسم الأول، أو الثلث الأول من أقسام القرآن، وهو المتعلق بالله تعالى، الذي كان سبباً في وجودنا سبحانه وتعالى.

أسماء السورة: فمن عظمة هذه السورة كثرة أسمائها الدالة على معان تضمنتها السورة، فمنها: الاخلاص، ومنها التوحيد، ومنها الصمد، وسورة التفريد، وسورة التجريد، وسورة الولاية، وسورة النسبة، وقد عقد الفخر الرازي في التفسير الكبير فصلا لأسماء هذه السورة فذكر لها عشرين اسماً[2].

وقد خلت السورةُ من استخدام الإضافة، بخلاف سورتي الفلق والناس، اللتين كان للإضافة فيهما دور في الإطناب لكونهما دعاءً وابتهالاً. أما في هذه السورة، سورةِ

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، برقم ٦٦٤٣.

[2] الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٨٥٧/٣٢.

الإخلاص، فإن المقامَ فيها مقامُ إيجاز، لقلة عدد كلماتها وآياتها وقِصَر كلماتها، ومقامُ إفراد، لإفراد الله تعالى بالألوهية، فاستخدمَ في السورة أربعة أسماء ظاهرة، عُرِّفَ اثنانِ منهما بالعلَميّة وهو (الله) و بـــ: ال التعريف، وهو الصمد، واستغني في تعريفهما بـــالعلميّة و(ال) عن الإضافة تجنباً للإطالة، وقصداً لتخصيص لفظ الجلالة بالعَلَمية على الذات العلية، وتعريف اسم الله الصمد، الذي هو صفة مشبهة بمعنى اسم المفعول بمعنى المصمود الذي يُصْمَدُ إليه في الحاجات والملمات.

ومن ملامح الإيجاز في السورة قِصَر كلماتها، فأكثر كلمات السورة تتكون من حرفين أو ثلاثة، باستثناء لفظ الجلالة، لأنه المقصود في السورة، فجاء اللفظ أطول من بقية ألفاظ السورة، وباستثناء الفعل المبني للمجهول يولد، وثلاثة من أفعال السورة ثلاثية حذف منها حرف العلة بالجزم والبناء على السكون، قلْ، يلدْ، يكنْ، فصار كل فعل منها على حرفين.

كما أن السورةَ خلت من التثنية والجمع لتنافيهما مع مقام إفراد الله تعالى بالأحَديّة والتفرّد، فجاءت كل كلمات السورة مفردة، وجاءت الضمائر كلها في السورة مفردة، وجاء إسناد الأفعال كلها في السورة إلى المفردِ لمناسبة المقامِ، مقام إفراد الله تعالى بالأحدية.

الخاتمة:

إن هذه الدقة المتميّزة في اختيار الحروف والكلمات والجمل التي تكوّنت منها سورة الإخلاص تجعل الإنسان يحسّ بالعجز أمام هذا الكلام المعجز، ليحكم بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذا الكلام ليس كلام بشر، ولا كلام مخلوق محدود في علمه وقدراته، بل هو كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولو أعطيت اللغة العربية بمعاجمها ونحوها وصرفها وحروفها لأضخم أجهزة الحاسوب التي توصّل إليها البشر حتى الآن، وطلب منها إنتاج نظم مشابه لسورة الإخلاص بشروطها التي ذكر هذا البحث كثيراً منها لما نتج عنها إلا سورة الإخلاص، إذ لا مثل لها، ولا مثل لكلام الله تعالى، وهذا يعني:

١-استحقاق اللغة العربية أن يتنزّل بها القرآن المعجز، نظراً لاتساعها في حروفها وحركاتها وكلماتها وجملها وأساليبها وطرائق التعبير، وخصائص كل مادّة من موادّها الخام، ونشوء خصائص جديدة حين الاجتماع في نسيج لغويّ تعبيريّ، مما يتيح لمستخدم اللغة خيارات واسعة جداً من تأليف الكلام للتعبير عن مختلف المعاني جليلها ودقيقها.

٢-عظمة القرآن الكريم الدالّة على عظمة الله تعالى، ومطلق قدرته وعلمه وإحاطته، بما لا يستطيع البشر كلهم أن يحيطوا بقليل مما أحاط به القرآن الكريم، وقد شهد للقرآن بذلك فصحاء العرب وبلغاؤهم، وأدركوا أنه ليس كلام إنس ولا جن.

٣-أن البحث حاول وضع الأصبع على مواطن جمالية وإعجازية في سورة من سور القرآن القصيرة، على مختلف مستويات دراسة اللغة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

وإن كان من توصية يتوجب على الباحث تقديمها للقراء والباحثين والمتخصصين، فإنها في تجميع الجهود لإجراء دراسات أوسع حول الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، والاستعانة بالمتخصصين في التقنيات الحاسوبية لإعداد برمجيات تُعين الباحثين على توفير الإحصاءات اللازمة لسبر غور الإعجاز في القرآن الكريم، ولعلّ الجامعات في بلاد المسلمين هي الأحق بهذا الشرف العظيم.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

1	الأصفهاني، الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩.
2	البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
3	البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي: مختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.
4	الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
5	ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذيّ: شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
6	خاروف، محمد فهد: الميسر في القراءات الأربع عشرة، مراجعة: محمد كريم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.
7	الخطيب، عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.
8	الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
9	الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥.
10	السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
11	السلمي، عياض بن نامي بن عوض: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
12	الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
13	ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
14	القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤ م.
15	ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
16	المرصفي، عبد الفتاح السيد: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة.
17	ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
18	ابن هشام، جمال الدين بن يوسف الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م.
19	الواحدي، علي بن أحمد: أسباب نزول القرآن، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Part the linguistic miracles in Qur'an, utilizing linguistic characteristics - Surat Al-Ikhlas as a model

Abstract

The research aims to highlight the aspects of linguistic magnificence in Surat Al-Ikhlas, the miraculous short surah, through the levels of the linguistics: phonetically, morphologically, grammatically, and semantically and to demonstrate the effective use of phonetic, morphological, grammatical, and stylistic characteristics to convey the several meanings in a limited number of words. It will also illustrate the areas of phonemic elegance in the letters of the surah: their manner and place of articulation, and their characteristics in addition to the areas of morphological beauty in the few distinct words that made up the sentences in the surah, and how these words in the sentences delivered the required meaning. The research reveals the grammatical sentences with which meaning is expressed that is an answer to questions related to the description of Allah Almighty, his lack of ancestry, and how these few linguistic elements: sounds, words, and sentences gave a sufficient answer to the questions, and confirmed the appropriate descriptions of Him and negated what is not worthy of His majesty, all of this accomplished by utilizing half of the Arabic letters, distributed on the sound articulations from the throat through the tongue to the lips. The few words that lead to precise meanings formed a large number of diverse and eloquent sentences expressing the meaning, to prove at the end of the research the impossibility of forming like what is in this surah with these characteristics and features.